

التدخل السوسولوجي - كبراديجم للمرافقة البيداغوجية في مجال التوجيه المدرسي

Sociological intervention - As Pradigm for pedagogical escort in the field of school guidance

ط د. ليندة هوام¹ ، د. الطيب صيد²¹ مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية بتبسة، جامعة سوق أهراس (الجزائر)houamlynda@gmail.com² جامعة محمد الشريف مساعدي سوق أهراس (الجزائر)، sid_tayeb@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 21-05-2024 تاريخ القبول: 28-05-2025 تاريخ النشر: 03-06-2025

ملخص:

تعالج هذه الورقة البحثية إشكالية إنتاج المعرفة السوسولوجية وتطبيقاتها خدمة لصالح المجتمع، فالباحث يمكن أن يستخدمها في مجالات بحثية متنوعة أهمها سوسولوجيا التربية حيث تضطلع بتدخل براديجم منهجي سوسيو تربوي يعتمد تغيير للواقع الاجتماعي عن طريق ما يسمى بالتدخل السوسولوجي، وفي هذا السياق خلصنا إلى أن رهان التدخل كبراديجم للمرافقة البيداغوجية يسعى إلى تشكيل بنية إدراكية متوازنة للمتعلم بالكشف عن واقع ذاته المدرسية وتعديل صورة المدركات الخاطئة التي يتبناها ومنها الانفتاح على المحيط الدراسي والمبني وتنمية الحس الريادي والإعداد للإندماج في الواقع الاجتماعي، ذلك بالتخلص من التوترات والصراعات التي يعيشها أمام مواقف وضعيات متضاربة وفق قرارات بناء المشروع المستقبلي والتي قد تعرقل مساره الدراسي.

كلمات المفتاحية : التوجيه المدرسي : التدخل السوسولوجي : سوسولوجيا التربية : المرافقة البيداغوجية.

Abstract :

This paper addresses the problem of the production of sociological knowledge and its applications for the benefit of the community. The research can be used in various research fields, the most important of which is sociology of education, where it undertakes the intervention of a sociotropic methodology of paradigm adopting a change of social reality. This is through so-called sociological intervention that seeks to form a balanced cognitive structure for the learner by revealing the reality of the school itself, modifying the image of the misconceptions he adopts, including opening up to the academic and professional environment, developing the social sense and preparing for integration into reality. This eliminates tensions and conflicts in the face of conflicting attitudes and situations in accordance with decisions to build the future project that may hinder its course of study.

Keywords: school guidance; sociological intervention; sociology of education; Pädagogika accompaniment.

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

لا يمكن فهم تطور سوسولوجيا التربية ولا تطور موضوعاتها النظرية والتطبيقية، ومناهجها البحثية إلا من خلال ربطها بالتحولات التي يشهدها النظام التعليمي، هذه التحولات تعكس تغييرات إجتماعية واقتصادية وثقافية أعمق، الأمر الذي يستدعي فهما وتحليلا مفصلا لمعاني ودلالات هذا التغير وأبعاده على مستوى العلاقات الاجتماعية وأنماط الممارسات التربوية للفاعلين داخل المؤسسات التعليمية.

وبما أن سوسولوجيا التربية تعتبر فرعاً من فروع علم الاجتماع التي تهتم بالمجتمع ككل فمن الطبيعي أن تركز على الأنساق التربوية والظواهر الميكرو-مجتمعية في تطورها التاريخي وظروف تشكل تجاربها، حيث يتناول هذا الفرع من السوسولوجيا دراسة العمليات التربوية كجزء من البنية الاجتماعية الأكبر وينظر إلى المدرسة على أنها أهم الفضاءات للتفاعل الاجتماعي وإعادة إنتاج القيم والمعايير الاجتماعية كما يسعى إلى فهم كيفية تأثير السياقات الاقتصادية والثقافية .

فعليه أصبح من الضروري خصوصا في حالة التوترات والتعارضات تدخل العلم والباحثين التطبيقيين من علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعيين بغية إحداث التغيير في سلوك وثقافة الأفراد بابتكار وتبني مناهج تأخذ على عاتقها فهم الأبعاد السوسيو تربوية التي تتجلى في سيورة ممارسات التجارب الذاتية للفاعلين التربويين لإدارة تلك الأزمات والوضعيات الضاغطة .

في هذا السياق يصبح تفعيل خدمات التوجيه والارشاد المدرسي والمهني في المرحلة الثانوية ضرورة حتمية تملئها مجموعة من الإعتبارات السوسيو تربوية أساسها حق مرافقة كل متعلم خلال مسيرته الدراسية بتعزيز قدراته ومهاراته الحياتية وتوسيع خبراته الإدراكية أين يجد نفسه مجبرا على بناء تجربته الذاتية بإعطاء معنى ودلالة لدراسته، وفق مقتضيات الخريطة التربوية والمشاركة في التكفل بالذين تواجههم مشكلات قد تعوق بناء مشروعهم المستقبلي .

فالتلميذ يمثل منطلقا وغاية لنظام التوجيه المدرسي ذلك باعتباره فاعلا نشطا يتحمل مسؤولية تعلماته واختياراته الدراسية والمهنية مع ضمان حقه في الاستفادة من خدمات تضمن له السيورة البيداغوجية والتربوية والنفسية والاجتماعية، فهو بمثابة نسق مفتوح في حركة دائمة ينمو وتتجدد إدراكاته و خبراته مع محيطه من خلال تجربته المدرسية بكل ما تعنيه من أنشطة

وممارسات فعل مقصودة وواعية لتحقيق أهداف تحمل في طياتها مطالب وحاجات ورغبات واتخاذ قرارات حول تحديد مصيره الدراسي .

علاوة على ذلك تتحول هذه التجربة الفردية للمتعلم إلى قناعات ومحفزات للسلوك الفردي بما تمكنه من إكتساب ذات مفكرة (فاعلة)، فالتعامل مع هذا الأخير كفاعل تربوي في عملية التوجيه المدرسي لا يتأتى إلا بثقافة التدخل لتخطي تلك الاختلالات التي قد تعيق تجربته الذاتية . ولعله من المفيد إعتداد منطق التدخل السوسيولوجي ضمن إطار المرافقة البيداغوجية كفعل تربوي على مستوى الأنشطة والممارسات التربوية في السياق المدرسي شكلا ومضمونا، وما يميزه هو غنى مدلولاته الإستيمولوجية التي يسخرها لمساعدة الفاعل التربوي التغلب على أزمات النمو والصراعات التي تواجهه حيث لا تجعله في الفضاء المدرسي يتحرك بكل حرية مطلقة في فراغ مؤسساتي وليس أن يكون فعله ثابتا في سياق من المعطيات المفروضة عليه إنما يكون فعله الاجتماعي هو نتاج تفاعل اجتماعي يتم تشكله على نحو مشترك من خلال أخذ مساحة وساطة للتفاوض مع تلك الأزمات والإرهاصات التي تعيق تأكيد ذاته، ذلك أن التدخل السوسيولوجي كبراديجم للمرافقة البيداغوجية في مجال التوجيه المدرسي يمنح المتعلم هامش مناورة تسمح له بتمظهر وتكريس فكرة النضال الاجتماعي تجاه الأطر الشرعية للاعتراف به كذات متفردة تدافع عن قراراته الفردية بكل حرية، وتعطي من فعل مقاومته معنى ودلالة لوجوده .

وبناء على المرتكزات المشار إليها آنفا أصبح التدخل السوسيولوجي من المحددات الأساسية للمدرسة المعاصرة، والتي أخذت على عاتقها مسؤولية التوجيه والإرشاد في الرقي والتطور لتراعي النمو السليم للمتعلمين والارتقاء بالأنماط السلوكية وتوجيهها بما يتلائم مع القدرات والميولات والرغبات التي تبلور القرارات والاختيارات والقناعات ومن ثم ترسيخ الحس التوجيهي لهم ، فلا ينظر للمتعلم فقط على " أنه فرد يواجه موقفا ووضعية، ولكن كممثل يقوم ببناء تجربته من خلال الاختيارات والتوجيهات الثقافية وتطوير معاني إستراتيجيته في نظام العلاقات الاجتماعية " (Dubet, Cousin, Guillemet, 2016, P6) .

وقد تطرح سيرورة بعض الممارسات البيداغوجية لآليات إشتغال التوجيه المدرسي صعوبات على المستوى الميداني حيث تنتج أحيانا إعاقة طموحات بعض المتعلمين الذين لم يطابق توجيههم نحو ما تم إختياره على بطاقة الرغبات والذي لم يكن متوقعا بالنسبة لهم مما يجبرهم على دراسة شعب ليست بينهم وبين ميولاتهم واستعداداتهم أي صلة الأمر الذي يفرز عنه حالة توتر يعيشها

المتعلمون بين ماكانو ما يطمحون ويرغبون فيه وبين ماهو واقع ومحتم عليهم فيشعرون بحالة من التوتر والقلق والمعاناة وعدم الارتياح وتتحول إلى مصدر إزعاج وقلق ينعكس في صورة ضعف الإنجاز الأكاديمي، أو تشكل ضرب من ضروب السلوكات الإنحرافية وهذا ما أكدته نتائج دراسة عقيلة بودر المعنونة بـ "عدم الرضا على توجيه مستشار التوجيه وعلاقته بالسلوك العدواني لتلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبي رياضيات وتقني رياضي" (بودر، 2018) أن عدم الرضا عن التوجيه يعتبر من العوامل المسببة للسلوكيات العدوانية بالوسط المدرسي .

ومما لاشك فيه أن عملية التوجيه القصري تجاه هذا الأخير قد تعتبر أهم الميكانزمات المعيقة في تحقيق ذاتيته إلى حد الصدام بكل مظاهره، أين تقع على عاتق التدخل السوسولوجي مهمة البحث الموقفي في تحديد الممارسات التربوية القائمة على التحليل المنهجي لهذه السلوكات والمشكلات التي تعترض المتعلمين عبر مسارهم الدراسي كونها تفرض عليه التركيز على محورية المتعلم بإيجاد أرضية لتكوين ميداني ينطلق من معاناة التوترات والاختلالات بفهم خبرات هذا الأخير ومقاصده الذاتية وتأويل معانيه حيث إدراك الأفعال الاجتماعية للوضعية المتأزمة إدراكا ذاتي واضح مادامت ممارسة كل فعل يأخذ معنى ذاتي محتجبا وراء مطالب الإبحار والغوص في كينونة الذات بحثا عن تحريرها على سطح الوعي للمساهمة إيجابيا في السيطرة على تلك المشكلات.

ومن هذا المنطلق تحاول هذه الدراسة الكشف عن ماهية التدخل السوسولوجي رغم عدم توفر دراسات تطرقت له ،ذلك باعتباره من المناهج السوسولوجية المعاصرة ومن أحدث الميكانزمات التي يمكن استثماره في المجال التربوي وتحديد إسهاماته لإحداث التغيير بإدارة الصدام(التوتر)الذي يعيشه المتعلم ضمن السياق السوسيو تربوي أمام الوضعيات الضاغطة للتوجيه المدرسي من خلال طرح التساؤلات التالية :

- ما المقصود بالتدخل السوسولوجي؟ وماهي المعالم الأولية لظهوره ؟
- ماهي تطبيقاته في مجال التوجيه المدرسي؟
- كيف يساهم التدخل السوسولوجي وفق تكامل أشكال منطق الذات في إدارة التوترات في مجال التوجيه المدرسي ؟

1.. أهداف الدراسة :

- الكشف عن مساهمة التدخل السوسيوولوجي كبراديغم في إدارة الصدام (التوتر) الذي يحققه التلميذ في إطار المرافقة البيداغوجية مع تحليل كيفية مواجهته له وإدارته ليس كما يريده الباحث السوسيوولوجي وإنما من خلال منطوق المبحوثين.
- محاولة تقديم شبكة من تحليل أنماط السلوك التربوي أو ما يطلق عليه أشكال منطق الفعل عند التلميذ .

2.. أهمية الدراسة :

تكمن أهمية دراسة الموضوع في إستجلاء فعالية التدخل السوسيوولوجي للكشف عن معاني ودلالات تعكس واقع ممارسات تربوية بالغة بالنسبة للفعل البيداغوجي من حيث معرفة مكنونات الذات وتصحيح وتعديل صورة المدركات الخاطئة حيث الانفتاح على المحيط الدراسي والمهني وتنمية الحس الريادي والتوجيهي والاعداد للإندماج الاجتماعي .

3.. تحديد المفاهيم :

1.3..التدخل السوسيوولوجي :

يعتبر إبتكار منهجي حديث نسبيا يتطلب تشكيل عدة مجموعات من الفاعلين الاجتماعيين المشاركين في الظاهرة المدروسة، ويعتمد التدخل نوع خاصا من المقابلات بشكل جلسات تدخلية من حيث الأداء والتصميم والاجراءات، ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الجلسات :

- الجلسات التي يناقش فيها أعضاء المجموعات فيما بينهم ضمن منطق التحليل الذاتي.
- الجلسات التي تلتقي المجموعات خلالها محاورين، خصوم، أو حلفاء.
- الجلسات التي يقترح السوسيوولوجيون خلالها الفرضيات المستقاة من تحليل المعطيات التي تم جمعها سابقا .

منهج التدخل السوسيوولوجي قائم على التحليل الذاتي لمنطوق المبحوثين خلال العملية التفاعلية أما إستمولوجيا فهذا المنهج أحدث قطيعة بين المعرفة العلمية والمعرفة العادية يحدث وهذا ما وضعه "فرونسوا دوبي" **Fronçois Dubet** " سنة 1994 قائلا بدلا " من إعتبار ألعاب المحاججة المتبادلة بين الفاعلين والباحثين كعقبات أمام المعرفة، نقترح تناولها كمادة من المواد المحتملة لعلم الاجتماع " ولكن هذا لايعني التخلي عن صلاحيات الباحث في عملية التحليل ذلك أن التدخل السوسيوولوجي يتخلله توتر بين وضعية الفهم الشامل وموقف الكشف، حيث يتسم هذا

الموقف الأخير بإرادة - إظهار العلاقات الاجتماعية الخفية - (Alain Touraine) ومن ثم تخطي مقاومات الفاعلين واتجاهاتهم." (سيسيل بيشو، 2019، ص 98).

فعمل الباحث السوسولوجي يقوم على حاجته لفهم الأفعال الاجتماعية اعتماداً على نوع خاص من الملاحظة تسمح بتحليل سلوك الأفراد بناءً على مرجعيات ثقافية، فالفاعل الاجتماعي يتصرف من منطلق محددات مكتسبة مسبقاً قد لا تتوافق مع واقع معاش في مرحلة زمنية معينة يجعلها تتوسط علاقة الفرد مع محيطه، ما قد يؤدي إلى صراع وتناقض أو تصدي يستدعي التدخل السوسولوجي، ذلك أن كل ذات إنسانية تنمو على مستويين: إستغلال الفرد لذاته ما يشكل المستوى الإدراكي له وإستغلال الآخر للفرد ما يعكس الجانب العلائقي على المستوى الاجتماعي وعليه يمكن القول أن التدخل السوسولوجي يدفع المتعلم تعويض الوضعيات الضاغطة بوضعيات إستراتيجية عقلانية، له من القدرات والامكانيات ما تؤهله لتخطي تلك العقبات ولكن مهما يكن نوع العمل التدخل فإِنَّه يقتضي التفكير والتخمين والترتيبات والإعدادات الخاصة بذلك والتي تختلف باختلاف المجالات والأطراف والجماعات المكونة للمنظمة أو ما يعرف بالسياق الاجتماعي، ويكون التدخل في المجال التربوي من طرف الباحث للعمل على تحقيق جملة من الأهداف التي تدخل في إطار المرافقة البيداغوجية والتوجيه لتجاوز الوضعيات الصعبة.

2.3.. المرافقة البيداغوجية :

مفهوم المرافقة ينتهي إلى نموذج تفكير جديد في إطار سياق تطبعه قيم السرعة والريبة وعدم الثبات أين يواجه الفرد عقبات وتحديات تتطلب المساعدة والتوجيه لكن في الفضاء التربوي ليست لغرض الامتثال لنموذج ما بقدر ما هي سبيل لتحقيق الذات بمعنى أنها تمثل مجموع الخدمات التي تقدم بهدف المساعدة على إعادة صياغة الذات وتشكلها للتعامل مع تلك المشكلات المختلفة لتحقيق أفضل توافق بين الواقع الذاتي والواقع الاجتماعي .

4.. المعالم الأولية لظهور مفهوم التدخل السوسولوجي

إن التدخل في علم الاجتماع هو خطوة منهجية يقوم بها عالم الاجتماع في تنظيم اجتماعي معين، من أجل إحداث التغيير المرغوب على سلوك الفرد ويتضمن تحليل المشكلات وتحديد أسبابها و برمجة إستراتيجيات التعامل معها، وقد أثير مفهوم التدخل في بادئ الأمر من قبل علماء النفس الاجتماعي ضمن إطار البحث الفعلي الذي حدده كورت ليوين Kurt Lewin فبناءً على طلب من

تنظيم معين أو مجموعة معينة، يستحدث عالم النفس الاجتماعي نوعاً من الوضع التحليلي يستخدم فيه مجموعة تقنيات مثل البحث الإستقصائي، المقابلات غير الموجهة، نقاشات الجماعة.

لكن أساس التدخل يكمن في إبلاغ المجموعة في كل مرحلة من مراحل البحث صورة تحليلية عن الوضع يتم توضيحها بشكل تصاعدي، هذا الاتصال بين أعضاء المجموعة يحدث وضعاً جديداً وزخماً قوياً من شأنه أن يؤدي إلى تغيير طبيعة العلاقات فيما بينهم وتعرف هذه الطريقة التدخلية بتقنية الإسترجاعات، فالجانب التدخلية العملي يعتبر كنقيض لعلم الاجتماع النظري .

فمنذ نشأته كان علم الاجتماع يتحدد من خلال " مشروع تدخلية فقد كان أوغست كونت يطمح إلى تأسيس علم مداواة للمجتمع المريض سماه "بال Sociatrie لكن هذا المشروع ظل لفترة طويلة حبراً على ورق، واهتم المتمرسون بمسألة البؤس الاجتماعي بغية تحسين الوضع الناجم عن تلك الحالة كذلك عرض علماء الاجتماع خدماتهم على الحكام والمسؤولين، ولكن أعمالهم لم تشكل مسائل جوهرية في ميدان علم الاجتماع وهكذا بقي علماء الاجتماع مجرد منظرين أو باحثين يسعون من أجل تقديم المعرفة " (Herreros, 2002, P192)، والكثير من علماء الاجتماع وغيرهم من المختصين الآخرين في العلوم الأخرى يجمعون على أن " تاريخ التدخل في التنظيمات قد ارتبط في بادئ الأمر بالعمل التقني الناتج عن النموذج التaylorien " حيث أثر مفهوم التدخل من طرف المهندسين التقنيين أو ما يعرف بالمنظمين الذين طبقوا مبادئ وأسس التيلورية في المؤسسات الصناعية " (Morin, 1996, P26).

في سنوات الخمسينيات من القرن الماضي سجلت الخطوة الأولى للطلب التدخلية من قبل المؤسسات الصناعية والاقتصادية، والتي كانت تهدف بالخصوص إلى الرفع من الإنتاجية ولهذا الغرض " لجأ المسيرون أو مسؤولي المؤسسات الاقتصادية والصناعية لطلب التدخل من خريجي مدارس التجارة والاقتصاد ومدارس الهندسة الحاملين للمهارات أو التقنيات الكلاسيكية في التسيير قصد تنظيم المصنع من أجل إنتاج أحسن ولقد ارتكزت مجمل هذه التدخلات بوجه عام على كل ما يتعلق بالزمن والحركة " (Morin, 1996, p.p.27-28)، وبالرغم من أن هذه التدخلات إستطاعت أن تحقق بعض أهدافها إلا أن المسيرون وجدوا أنفسهم أمام ضرورة إستثمار وتوظيف العلوم الإنسانية نظراً لطبيعة المشاكل التي واجهتهم خاصة ما يتعلق بردود الأفعال ومواقف وتمثلات المستخدمين أو الموظفين، الأمر الذي دفع بالمسيرين إلى الاستعانة بعلماء النفس التقنيين الذين يتحكمون بشكل جيد في الهندسة البشرية L'ergonomie من أجل حل المشاكل التي كان لها تأثير على العمل والإنتاجية.

ويمكن القول أن أول تدخل سوسيولوجي في علم الاجتماع هو الذي تطرق إليه آلان تورين " في دراسة الحركات الاجتماعية في كونه يخرج الذات الفاعلة إلى سطح الوعي، وذلك أن الذات حسب آلان تورين لا تكون حاضرة في الوعي بشكل كامل وإنما تكون مغطاة ومحتجبة خلف مطالب أخرى، بحيث يتطلب الأمر الغوص عميقا فيما وراء هذه المطالب، من أجل إيجاد النضال الحقيقي الذي يكمن وراءها، وهو الصراع من أجل إنتاج الذات، فهذا الأخير وإن كان موجودا في وعي الفاعل، إلا أنه يحتاج إلى الاستخراج والانعقاد من أشكال مختلفة من المطالب والنضالات" (آلان تورين، 2011، ص.210)، بمعنى آخر فإن آليات التدخل السوسيولوجي تركز على دفع الفاعلين لإبراز هذا المعنى في سياق فعلهم الاجتماعي، وذلك أن صحة فرضية الباحث حسب آلان تورين هو قدرتها على رفع الالتباس والضبابية على الفعل لدى الأفراد موضوع الدراسة .

وتأصيلا لما تقدم فإن منهج التدخل السوسيولوجي هو المنهج الذي تم تكييفه ليتلائم ويتزامن مع سوسيولوجيا الفعل التي إستلها آلان تورين (Alain Touraine) المعنون ب (La voie et le Regard)، ثم بعدها تطورت داخل مركز التحليل والتدخل الاجتماعي "CADIS" في فرنسا والواقع أن سوسيولوجيا الفعل بدأت في ستينات القرن العشرين في ميدان الظروف العمالية ثم تبلورت في نهاية السبعينات في سوسيولوجيا الحركات الاجتماعية قبل أن تتوسع لاحقا مع بداية الثمانينات إلى مجالات جديدة وعلى يد علماء جدد أبرزهم أستاذ علم الاجتماع بجامعة بوردو الفرنسي "فرانسوا دوبي" François Dubet (1946)، وهو أحد الأعضاء البارزين في مركز التحليل والتدخل الاجتماعي CADIS، المركز الذي أسسه "آلان توران" Alain Touraine .

فإذا كانت فكرة علم اجتماع الفعل الذي أسسه "آلان توران" تقوم على "إنتاج المجتمع لذاته" من خلال مقارنة للأطر التاريخية العامة للفعل الاجتماعي من وجهة نظر تطويرية تشبه تلك التي أحدثها "كارل ماركس" Karl Marx، حيث تقوم هذه المقاربة على محاولة فك تشفير الأحداث الاجتماعية الحاملة للمستقبل وهي بذلك في جوهرها تعتبر مقاربة تنبؤية، لكن الباحثين في مركز التحليل والتدخل الاجتماعي من أمثال "فرانسوا دوبي" حاولوا التخلص من هذه النزعة التنبؤية على التحليل المتعمق للتحويلات الاجتماعية في سياقها المحدد، فقد انتقدوا فكرة "الفرد الاجتماعي" وقراءة تطور المجتمعات على أنها تعاقب أنماط محددة سلفا.

5.. أهداف التدخل السوسيولوجي كبراديجم للمرافقة البيداغوجية :

تظهر بؤادفاعلية التدخل السوسولوجي من خلال الإدراك المعرفي لقدرات المتعلم الشخصية في إطار التجربة التي يمر بها حيث تعمل على مساعدة الذات التغلب على التوترات والضغوطات التي تواجهها والتي قد تعيق الذات القيام بوظائفها الإيجابية.

هذا يعني أن أي عملية لخلق واقع مشترك بين التلاميذ يتم عبر سيرورة تبادلية وديناميكية من المشاركة في المعاني والتفسيرات، إلا أن هذا الواقع المشترك يختبر على أنه واقع موضوعي من قبل هؤلاء الفاعلين، على الرغم من أنه في الحقيقة هو نتاج لتفسيراتهم وتأويلاتهم الذاتية لكنه يعتبر ذا معنى من الناحية الذاتية لأنه ينبع من تجاربهم وتفاعلاتهم اليومية المشتركة.

ففي الإطار المرجعي وعبر سيرورة بيداغوجية تلزم المرافق البيداغوجي وضع عدد تتطلب مساعدة المتعلم التفكير في جودة حياته والتكيف المرن مع الواقع اليومي المدرسي والذي يجمع بين الخبرات والتجارب الشخصية بما تحمله من مشاعر وأفكار وتصورات فردية حول المواقف والأحداث التي يواجهها هذا الأخير في الوسط المدرسي وما له من إحتياجات ورغبات وأهداف خاصة مقابل الواقع الموضوعي الذي يفرض نفسه كحقيقة عامة ومعطاة على الجميع حيث التفاعل المستمر لتشكيل التجربة الذاتية اليومية في المدرسة في إطار منطق الفعل التربوي كما طرحها فرانسو دوبي وذلك بالتوفيق بين إحتياجات المتعلم ومتطلبات السياق المدرسي لاسيما إحتياجات الدراسة التي تحدد من خلالها معنى ذات دلالات في اكتشاف هويته عبر زوايا جديدة ضمن الواقع الموضوعي المدرسي الذي يمثل نسقا تم تعبئته إجتماعيا .

وعليه فإن اعتماد التدخل السوسولوجي كبراديجم لخفض التوترات المدرسية التي ترجع في أساسها إلى صراع أو صدام الذات أمام الأهداف المتضاربة ترتبط بمدى تحقيق مجموعة من الأهداف والغايات البرغماتية والعملية المجسدة في :

- دراسة التناقضات الجماعية للتعرف على الأسباب والنتائج ثم التركيز على نطاق الهوية التاريخية والاجتماعية للمتدخلين في ما هو عليه من تحول اجتماعي .
- اقحام المتدخلين أكثر في النقاش التحليلي (التغذية الراجعة).
- مساعدة ممثلي المجموعة في مواجهة المشكلات بتعزيز فهم الواقع الاجتماعي الذي يعيشونه بناء على المواقف والوضعيات ومنها إعادة تأهيلها في العلاقات الاجتماعية .
- تفكيك تشابك الأبعاد التي تنظم عمل الجهات الفاعلة.

- القدرة على التحليل الذاتي وتحقيق التحويل في منح الفاعلين فرص إحداث التغيير (التصحيح المعرفي)، أو بالأحرى مرافقة الأفراد في حل المشكلات .

فمغزى هذه الغايات التي يصبو إليها التدخل السوسولوجي في إطار المرافقة هو " فهم خصوصيات المتعلم النفسية والعقلية والبيولوجية واعتماد طرق المرافقة والمساعدة والمصاحبة من أجل تقوية السيورة الفكرية والعلمية للمتعلمين ومساعدتهم على الاندماج الدراسي والتي من خلالها تتحول هذه الفئة إلى ذوات فاعلة وواعية بحريتها ومسؤوليتها في إيقاظ الامكانيات الذاتية والموضوعية المساعدة على النماء الشخصي والاجتماعي في أفق تسهيل اندماجه في حاضر يستشرق المستقبل، ومن هذا المنطلق لم تعد خدمات التوجيه المدرسي تضطلع فقط في تقديم ومعارف حول عالم الشغل والكشف عن الميولات والاهتمامات، وإنما تعددت إلى برامج تربوية قائمة بذاتها تندمج مع أهداف العملية التربوي عموما، ولها جدولة هيكلية ونشاطاتها ومهام تأطيرها.

6.. براديفم التدخل السوسولوجي وتكامل أشكال منطق الذات في مجال التوجيه المدرسي :

تبني براديفم التدخل السوسولوجي يقحم الفاعل التربوي في الإستغلال على الوقوف أمام تلك الإكراهات والإرهاصات بفهمها وتصحيحها وإبداع حلول فعالة للحد من تداعياتها على مساره الدراسي بشكل يسمح بتطوير وتنمية مجموعة من الكفاءات والمهارات الحياتية لتجعل منهم ذوات فاعلة إنطلاقا من تحقيق التكامل بين هذه الكفايات وأشكال منطق الفعل التربوي المتمثلة في:

1.6.. الكفايات المرتبطة بمنطق تكوين الذات :

يرتكز التدخل السوسولوجي في إطار المرافقة كممارسة بيداغوجية على تنمية شخصية المتعلمين كغاية في حد ذاتهم وكفاعلين اجتماعيين وإيجابيين لتخطي تلك التوترات التي قد تعترضهم نتيجة عدم تلبية الرغبة وفق الاختيار الدراسي لهم، أو أي وضعية تؤدي إلى التنافس بين الذات واختيارها الدراسي ومن ثم تقل الحافزية والدافعية، وبعبارة أخرى فإنه بمثابة تجربة اجتماعية تتخذ أشكالا وأبعاد متنوعة للمتعلمين وتعمل على تدعيم ذواتهم وتكوينها عبر معايير آليات التوجيه المدرسي وفق تعبئة شاملة لإمكانياتهم الذاتية والموضوعية بغرض المشاركة بكل حرية في تحقيق النجاح الأكاديمي من خلال التجارب والخبرات اليومية التي تكون فضاء للعملية التفاعلية ومنها تكوين الذات (بلورة الهوية المهنية والاجتماعية والنفسية) إنطلاقا من تحيين

إستعداداتهم وإختياراتهم الشخصية، وتوسيع تصوراتهم ورؤيتهم للأفاق الدراسية بغية التكيف مع الواقع التربوي وإعطاء معنى جديد للمشروع الدراسي المستقبلي لهم .

فالمتعلم بلغة آلان تورين Alan Thorin ليس إنتاجا وتكيف فحسب بل يتعدى ذلك في خلق وإنتاج ذاته وله القدرة على تعريف نفسه، القيام ببناء علاقات تفاعلية مع المحيطين به، ويستطيع أن يغير وسطه عوضا أن يكون محددًا و مقيدًا من خلال ما يتعلمه وينشأ عليه وسط الفضاء المجتمعي الذي ينتهي إليه.

وقد أكد ذلك فرانسوا دوبي في " أن المشكلة الأساسية للتلميذ ليس هي أن يتماهى أو يتطابق مع القواعد وإنما في إعطاء معنى لعمله المدرسي ولحياته، وبتعبير آخر يجد التلميذ نفسه مجبر على أن يبني تجربته المدرسية الذاتية أكثر منه على أداء دور معين، أي مجبر على بناء ذاته كذات فاعلة وصانعة لتمدرسها "(بوخريص، 2019، ص.6)، وفي هذا الصدد إن فعالية التدخل السوسولوجي هي مجموع ما ينتجه الفاعلون التربويون لبناء شخصيتهم كممثلين مدفوعين لإشباع متطلبات واحتياجات الذات في تخطي الصعوبات والعراقيل التي تعيق عودة الفاعل .

2.6.. الكفايات المرتبطة بمنطق الإدماج:

إن مهمة التدخل السوسولوجي لا تختلف عن مهمة التربية وهي " النمو بكل فرد إلى أكمل مظاهر الإنسانية التي يسعى بلوغها " (Rogers, 1955, P59)، وغاية التدخل السوسولوجي كغاية التربية والتعليم بـ:

- التركيز على تنمية المتعلم ككل، وليس فقط الجانب المعرفي بل الجوانب الجسدية والروحية والعاطفية والأخلاقية أيضا.
 - النمو بالمتعلم إلى أقصى إمكاناته وقدراته الإنسانية، وتحقيق أعلى مستويات النضج والكمال الممكنة.
 - السعي نحو تحقيق مزيد من التطور والنمو الشامل.
 - إحترام الطبيعة الإنسانية للمتعليم وتعزيزها، بدلا من تشويهها أو إزاحتها.
- وإذا كانت التربية وسيلة المجتمع لتجسيد أغراضه السياسية والإقتصادية والثقافية والإجتماعية عن طريق المؤسسة التعليمية فإن المدرسة بالنسبة للمتعليم تمثل واقعا موضوعيا له آثار عليه، لأنه يعود بالنتائج على مبتدعه وصانعه، ويحدث ذلك ضمن بيئة منظمة ومقصودة تفرض نفسها عليهم بغض النظر عن رغباته، وهذا يتماشى مع النظريات التربوية التي تنظر إلى المدرسة كمؤسسة إندماجية لها دور محوري في تشكيل خبرات المتعلمين وتكوينهم.

وهذا يعني أن التدخل السوسولوجي في إطار المدرسة يلزم أطرها بالمهمة الموكلة لها ضمن كل مساحات التدخل والإستغلال على تحقيق التناغم والإندماج بين الواقع الذاتي والواقع الموضوعي للمتعلم، وذلك بمنحه مايلزمه من موارد ومعارف وكفاءات مستعرضة في بلورة قراراته الآنية والمستقبلية والتوافق مع متطلبات البيئة المدرسية .

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه المعارف والمهارات المستعرضة التي يشكلها المتعلمون عن طريق السيرورة البيداغوجية للتدخل السوسولوجي حول الآفاق الدراسية والخيارات المستقبلية والتي تقدم لهم تتنوع بتنوع وضعياتهم المدرسية تعمل على خلق واقع مشترك يتكون من خبراتهم عن الحقائق الموضوعية والمعاني الذاتية، فلكل متعلم تجربة مدرسية متميزة عن رفاهه حيث تتدخل فيها خبراته المدرسية السابقة، وطبيعة الثقافة السائدة في أسرته والقيم التي زود بها في تحديد طريقة خياراته الدراسية والتي تعبر عنها بالواقع الذاتي له ومنها تتشكل لديه مفاهيم جديدة تتدخل بين ماهورسي وماهو فردي أو اجتماعي، وهذا في إطار مجموعة الممارسات الاجتماعية داخل المدرسة التي تخلق عملية الإندماج من خلال إضفاء الشرعية المؤسسية تدريجيا على المطالب الإجتماعية والتي تضمن وجود إستمرارية عملية التشكيل الاجتماعي .

وعليه فإن عملية الإندماج يوازي براديفم التدخل كونه يرتبط بالتنشئة الاجتماعية التي تعني عملية تعلم وتعليم قائمة على التفاعل الاجتماعي لتحقيق الإنصهار والتكيف ضمن السياق التربوي، ومن هذا المنطلق يمكننا القول أن عملية الاندماج هو نتاج للفعل الاجتماعي للمتعلمين .

3.6.. الكفايات المرتبطة بمنطق الإستراتيجية :

" هنا الفاعلون التربويون متنافسون ويتواجهون في السوق المدرسية ويحضرون بهذه الصفة إستراتيجيات فردية وأنانية، يتم توجيه الفعل عن طريق مصالح مفهومة جدا " (كابان، و دورتيه، 2010، ص.298)، وهذا يعني أن ميكانزمات التدخل السوسولوجي ماعليه إلا دفع المتعلمين ممارسة التفكير الإستشرافي في شأن المستقبل الدراسي والمهني وتكييف خططهم لتجاوز التوترات والصدمات التي تعيق مصالحهم، حيث تصل بالمتعلم إلى إتخاذ إستراتيجيات تعمل على تحسين إستثماراته وتكاليفه، ويختار أفضل الحلول البرغماتية في كل مفترق يفرضه عليه قرارات النظام المدرسي فمؤدى هذا التصور يؤكد على ضرورة جعل المتعلم خبيرا إستراتيجيا يجعل منه يمارس دورا يكون فاعلا منظما لمهاراته ومعارفه وتدريب تعلمات يستند إليها في كيفية تسيير وإدارة توتراته

والإرهاصات التي تواجهه خاصة أمام الخبرات التي يتعرض لها ضمن الفضاء التربوي أو خارجه ،لأن المتعلم لديه من القدرات لفهم ذاته وإعطاء معنى ذاتي لها والدفع به لتغيير تلك المواقف (السلوكات) ومنه الإعلاء بذاته باعتباره ذات فاعلة و صانعة لتمدرسها .

7.. القيمة السوسولوجية للتدخل السوسولوجي:

لقد شهد حقل البحث في سوسولوجيا التربية عدة مناهج سوسولوجية تميزت بتراكم الدراسات وتنامي البحوث التربوية، وبازدياد الانشغال بدراسة الظاهرة الاجتماعية كعلم مستقل لها قوانينها ومميزاتها الخاصة تبين لنا على واقع الممارسة ذات البعد السوسولوجي من حيث التأصيل النظري أو على المستوى الميداني أن هناك تفاوتاً في تبني المناهج السوسولوجية وتطبيقاتها في الإحاطة بدراسة الظاهرة التربوية لفهم وتفكيك مشكلات إنحراف السلوكات بتحليل أنماط تفاعل العناصر التربوية والتعليمية داخل نسقها الاجتماعي واقتراح البدائل لمواجهتها.

ومنها يتضح حاجة الميدان التربوي إلى المناهج القادرة على التحليل المعمق للسياق الاجتماعي والثقافي ومتغيراته المضمره خاصة أن الدعامة الأساسية لدراسة الظاهرة التربوية هو الفاعل الاجتماعي الذي يتطلب نوع من التحليل والمعالجة وإحداث التغيير لمختلف الوضعيات والمواقف المتضاربة التي يواجهها هذا الأخير حيث يفرض مشاركة الباحثين لاكتشاف الأبعاد ذات الصلة بالظاهرة قيد المعالجة البحثية .

ووفق هذا المنحى يمكن تصنيف المناهج السوسولوجية بين ما هو مرتبط بمبادئ ومفاهيم تفسيرية مسبقة ومنها من هو يسعى لفهم الظاهرة الاجتماعية على الصعيد الميكروسوسولوجي ومستوى مفردات ووقائع السياق الذي ينتمي إليه الفاعل فرداً أو جماعة ،فالدراسة السوسولوجية ترفض النزول إلى الميدان بأفكار ومفاهيم مسبقة وإنما تستنبط مفاهيمها من سياقها الواقعي، كما أنها تعتمد معاشية الباحث للوضعيات أو المواقف محل الدراسة بهدف إحداث التغيير .

وعلى ضوء هذه المرامي والغايات يندرج منهج التدخل السوسولوجي بمميزات وسمات فريدة تأخذ بعين الاعتبار خصائص الظاهرة الإنسانية المتسمة بالفردية والتغيير والتجدد المستمر لتعطي آفاقاً جديدة للباحث تمكنه من الانغماس والغوص في قوالب الظاهرة والتفاعل معها لفهم خبرات وأفعال ومقاصد الذات وتأويل معانها حيث إدراك التجربة الذاتية للفعل إدراكاً واضحاً ما

دام هذا الفعل الاجتماعي يأخذ معنى ذاتيا مرتبط بالذات ومحتجبا وراء مطالب تستدعي الإبحار في كينونة الذات بحثا في ما وراء هذه المطالب لتحريرها على سطح الوعي .

فالدراصة الإستيمولوجية لهذا الفعل الاجتماعي تتحدد وفق عدة مرجعيات تتبنى المقدمات المنهجية والافتراضية والتي مفادها أن عوامل خارجية عن الفاعلين تحدد سلوكهم بمعنى أنهم موجودين تحت حتمية قوى خارجة عن ذواتهم وإرادتهم، وما على الباحث في هذه الوضعيات إلا البحث والتنقيب في العلاقة السببية بين هذه القوى الخارجية والأفعال والسلوكيات الصادرة عن هؤلاء الفاعلين، فهذا التصور يؤكد دور كاييم الذي يقدم على دراسة الظواهر على أنها أشياء موضوعية في حين نجد ماكس فيبر يؤكد على العلاقة السببية بين الثقافة والسلوك العقلاني فهو يدرس الفعل الذي يتحقق عبر الذوات، ويتخذ هذا الفعل معنى ذاتيا ومقصديا ومنها إنتقل ماكس فيبر من عالم الأشياء الموضوعية إلى الذوات متجاوزا المقاربة الوضعية نحو المقاربة التفهيمية التي تقوم على الفهم والتفسير والتأويل الذاتي ، " فلم يعد النظر إلى سوسولوجيا التدخل إنطلاقا من التقليد الإستيمولوجي الكلاسيكي ذي المرجعية الباشلارية – الدوركايمية، حيث أن ممارسة سوسولوجيا التدخل لا تفترض فقط ضرورة إستجابة إنتاج المعرفة السوسولوجية للمعايير الكلاسيكية المحددة للعلمية، كما يتم تكريسها من طرف "العالم الأكاديمي" وإنما تفترض بالأحرى ضرورة أن يتمكن هذا الإنتاج من تحريك الأشياء وتغيير الأمور في المجال الذي يجري فيه التدخل"(بوخريص، 2021، د.ص) .

هكذا فإن التدخل السوسولوجي يضطلع بفاعلية لإعادة بناء ذاتية الفاعل وتحقيق الإعتراف الإجتماعي له و أنسنته في ظل التحولات التي تعرفها المجتمعات المعاصرة الناتجة عن الانتقال إلى حقبة الحداثة والتي تتزامن مع مشكلات ومعيقات ترتبط بوضعيات اجتماعية ونفسية تصارع من أجل البقاء لإثبات الذات وتحقيق إدراكاتها وإستجلاء ملامح وجودها داخل نسقها الاجتماعي، ومنها إتخذ التدخل السوسولوجي منحى البحث عن الذات باعتبارها ليست موضوعا سلبيا وإنما هي ذات فاعلة (اقتصادية، نفسية، إجتماعية) لها مقاصد معينة ولها حرية الاختيار وإتخاذ القرار في المواقف والوضعيات الاجتماعية المختلفة.

خاتمة:

إن تداول منهج التدخل السوسولوجي كبراديجم للمرافقة البيداغوجية في مجال التوجيه المدرسي قد يجعلنا نعتقد منذ الوهلة الأولى أنه في المحصلة الأخيرة هو مجرد محاولة الاصغاء وتصحيح للتصورات والإدراكات في الذات المفكرة، غير أننا في الواقع سنكون قد أمسكنا بالخيط السوسولوجي الأول في مقاربتنا التي تدفعنا لمراجعة المتون السوسولوجية التي تناولته كمطلب ملحا خصوصا في السياق التربوي لاضطلاحه دراسة ممارسات الفاعلين في مواقف إجتماعية عقلانية حيث يركز على فهم الأبعاد التشاركية والتفاعلية التي تهدف من ورائها تحسين وإحداث التغييرات لهذه الوضعيات والمواقف المتضاربة، فالباحث ضمن التدخل السوسولوجي يقوم بدورين في وقت واحد من جهة منتجا للمعارف وفاعلا تربويا على ضوء المعرفة التي ينتجها محدثا التغيير للأفضل لواقع يمس الفرد والمجتمع، ومن جهة أخرى فمنهج التدخل السوسولوجي مناسباً للتعرف على الذات وكيفية تشكل ذاتية الفاعل أو ما يسميه "آلان توران Alan Tauran" عودة الفاعل القادرة على تخطي إنكسارات وعوائق قد تحول دون تشكل الذات في سياق توجيهه الدراسي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. تورين، آلان (2011). بارديغما جديدة لفهم عالم اليوم، (سليمان جورج ، ترجمة، ط.1). مركز دراسات الوحدة العربية، (2005).
2. سيسيل، بيشو، أوليفيه، فيليب، ليليان، ماتيو، (2019)، قاموس الحركات الاجتماعية، (عمر الشافعي، ترجمة)، دار صفصافة للنشر.
3. عقيلة، بودر، (2018-2019)، عدم الرضا على توجيه مستشار التوجيه وعلاقته بالسلوك العدواني لتلاميذ السنة الثانية ثانوي شعبي رياضيات وتقني رياضي - دراسة ميدانية بثانويات ولاية بسكرة - ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في علم النفس: تخصص علم النفس المدرسي ، جامعة محمد خيضر بسكرة .
4. فوزي، بوخريص، (2019-2020). محاضرات مجزوءة سوسولوجيا التربية. Academia.edu. https://www.academia.edu/42467568/الجزء_الأول_سوسولوجيا_التربية .
5. فوزي، بوخريص، (2021، 28 أبريل). السوسولوجيا والتدخل. https://www.facebook.com/FaouziBoukhriss/posts/127061799443285/?locale=ms_MY&paipv=0&eav=AfbRfbxunM2qv2FDC7x51YDC3QbDkVCcV_xNmQ00ifDI1b6cUTFn6IN1vn4NeVxgW0&_rdr , 10/01/2024, 12h, 42m.
6. فليب، كابان ، و فرانسوا، دورتيه. (2010). علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام وتواريخ وتيارات (حسن إياس ، ترجمة، ط.1). دار الفرق للطباعة والنشر والتوزيع . (2000).
7. Rogers, C.(1955) . *L'orientation scolaire* (3nd ed) . Editions P.U.F.
8. François, D., Cousin, O., Guillemett , J. (2016). *Sociologie de l'expérience lycéenne, Revue française de pédagogie* .
9. Herreros, G. (2002). *Pour une sociologie d'intervention, Collection Sociologie clinique*.

10 . Morin, P. (1991, Mai30-31). *De la sociologie masquée a la sociologie avouée* ", in *L'intervention sociologique en entreprise, Travaux sociologique du : L.C.S. N° 48*. [Actes des journées d'études].